

ألف حكاية وحكاية (٨١)

صديق فى الطريق

تأليف

يعقوب الشارونى

وحكايات أخرى



رسم

عادل البطراوى

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صيفى

القجالة - القاهرة

صديق في الطريق

تحكى هالة الشارونى ، مقدمة برامج الأطفال فى التلفزيون ،
فتقول: عند مدخل أحد كبارى المشاة العلوية بالقاهرة ، شاهدتُ
ذات مساءً طفلاً يبلغُ عمره حوالى سبع سنوات ، قد ركع على
الأرض ، وانصمت يكتبُ فى كراسة وأمامه كتاب ، وبحواره صندوقُ
به علبُ كبريت ومشابك للغسيل وغيرها .
وقفتُ أمامه وسألتُه: "ماذا
تفعل؟"

قال: "أكتبُ واجيبُ"
المدرسة."

سألتُه: "هل تستطيعُ الرؤية
فى هذا الضوء الضعيف؟"

أجاب الصغير: "الحمد لله
أنتى أجدُ هذا النور ، ففى بيتنا لا
توجدُ كهرباء أصلاً."

وعدتُ أسأله: "وهل تبيعُ
كثيراً من هذه الأشياء؟"



قال: "أبي أعطاني هذا
الصندوق لأبيع ما فيه ، وبالقلم
أشترى بضاعة أخرى ، والمكسب
أدفع منه مصروفات المدرسة ،
وأشترى أدواتي وملابسي وأخذ
مصروفي."

وقبل أن أفيق من دهشتي ، سألتني الصغير عن معنى عبارة
"هطل المطر" ، فشرحها له وأنا أفتح حقيبتي لأعطيته نقوداً ، لكن
الصغير أبعد يدي وهو يقول: "إذا أخذت نقوداً ، لابد أن تشتري من
عندي شيئاً."

فقلت له: "وماذا عن
الهدية؟"

قال: "الهدية غير
القلم."

فاشتريت له كتاباً ملوناً
وحلوى ، فقبلها باسمًا وسألني:
"هل طريقك كل يوم من هنا؟"
قلت وقد شعرت أننا
أصبحنا صديقين: "كلما مررت
من هنا ، لابد أن تراني."



شيء من كل شيء

رغم مشاغل الأب الكثيرة ، التي منعتها معظم أيام السنة من الخروج في رحلات مع أولاده ، فقد استطاع أخيراً الذهاب مع ابنه لزيارة حديقة الحيوان. وأصر الابن الأصغر ، وكان في العاشرة من عمره ، على أن يبدؤوا بزيارة جبالية القروء.



وظال وقوفهم أمامها ، فطلب أخوه ووالدُهُ أن يتحركوا لرؤية بقية حيوانات الحديقة وطيورها. لكن الأخ الأصغر فضل البقاء أمام الجبالية ، فسمح له بالبقاء أمام القروود ، وذهب لمشاهدة بقية الحديقة.

وعند العودة إلى المنزل ، أخذت الأم تسأل ابنها عما رآه في الحديقة ، فأجاب الأكبر عن معظم الأسئلة. أمّا الأصغر فقد بقي صامتا ، ولم يُجب عن أية أسئلة غير التي تدور حول القروود. وعرفت الأم ما حدث خلال الرحلة ، فقالت لابنها الأصغر: "لقد خسرت الكثير يا عزيزي باهتمامك طوال الوقت بالقروود وخذها، وحرمت نفسك من التعرف على بقية الحيوانات التي تملئ بها الحديقة."

قال الابن: "هل الأفضل يا أمي ، أن أعرف شيئا قليلا عن كل شيء ، أم أن أعرف أشياء كثيرة عن شيء واحد؟"

قال الأب: "قبل أن يتخصص الإنسان في معرفة شيء معين ، من الأفضل ، في البداية ، أن يعرف شيئا عن كل شيء."



يوميات كل ليلة

في مدرسة طارق بن زياد للبنات بشبرا ، التقينا بصديقات
المكتبة ، في حوار حول كتب الأطفال .

سألت "سواء" : "ما

هي أفضل طريقة لتنمية

القدرة على الكتابة

الأدبية؟"

قلتُ لها: "حاولي

أن تُجيبى أنتِ عن هذا

السؤال."

قالت: "بالقراءة."

قلتُ: "وبالكتابة

أيضاً."

قالت: "ماذا

نكتب؟"

قلتُ لها: "لقد كانت كتابة يومياتي ، منذ بلغت التاسعة من

عمرى ، حتى وصلت السابعة عشرة ، هي وسيلتي الأساسية لتنمية

قدراتي على الإبداع الأدبي."

ففي كل ليلة كنتُ أجلسُ إلى مكتبي قبل أن أنام ، لأكتب

صفحة أو عدة صفحات ، أسجلُ فيها أهم الانطباعات عما حدث لي

خلال اليوم



.. أهم ما قرأت أو سمعت.. أكثر الأشياء التي تركت أثراً
في نفسي .. تحليلي لأهم الشخصيات التي قابلتها طوال اليوم ..
مشاعري وانفعالاتي حول ما واجهني من مواقف، ثماني سنوات لم
أتوقف خلالها ليلة واحدة عن الكتابة.

ثم عدت أسأل سماء: "كيف
تتصورين مدى القوائد التي خرجت بها
من مثل هذه التجربة؟"
قالت: "الاحتفاظ بالذكريات."
قالت كريستينا: "والاستفادة من
الأخطاء."
وقالت طالبة ثالثة: "والتدريب
اليومي على الكتابة."
وقالت رابعة: "والاستفادة من كل
ما نرى أو نسمع."
وقالت خامسة: "وأن تُدعى القدرة
على التعبير عن النفس."

قلت: "هذه كلها إجابات صحيحة، وأعتقد أن كتابة
اليوميات، في مثل تلك السنوات المبكرة، هي المدرسة الكبرى،
التي يمكن أن نصل من خلالها القدرة على الإبداع الأدبي."



دعاني الأستاذ "صلاح شريت"، المشرف على الثقافة بجنوب الصعيد، لألتقي بأطفال محافظة أسيوط، وقدمني إلى سيمانة من الأصدقاء الصغار، الذين تجمّعوا في قاعة المرح الصيفية، لتجاوز معاً.

سألوني: "ما هي أول قصة كتبها؟"

قلت لهم: "كنت في الثامنة أو التاسعة من عمري، أقوم بتأليف القصص، وأحكيها لأصدقائي في المدرسة الابتدائية، ثم بدأت أكتبها.

وكانت جدتي تحكي لي حكاياتنا الشعبية، منذ بلغت الرابعة من عمري، ومن بين ما حكّت لي، حكاية نشرتها بعد ذلك بثلاثين عاماً، باسم "خاتم السلطان".



كتبتها في البداية في صفحة واحدة ، ثم كتبتها تمثيلية
عرانس ، مثلتها مع إخوتي في بيتنا ، ثم حولتها إلى تمثيلية لفريق
التمثيل بالمدرسة الثانوية ، الذي كنت رئيساً له .

بعدئذ تركتها سنوات ، إلى أن كتبها من جديد كقصة ، نشرتها
لي دار المعارف في سلسلة "المكتبة الخضراء" . وقد تكون هذه ،
أول قصة كتبها .

وقلت لأصدقائي الصغار : " ومنذ شعور ، صدرت طبعها الثامنة ،
بينما تاريخ أول كتابة لها يعود إلى أيام الطفولة المبكرة ، لكنها مثل
الكائن الحي ، ظلت تنمو ، إلى أن حققت هذه الحياة الطويلة
الناجحة . "



ذات صباح ، ذهبنا إلى حيمة المكتبة ، المقامة في حديقة دار العلوم بالقاهرة ، في لقاء مع القراء الصغار حول الكتب والقراءة . ضمن برنامج القراءة للجميع . ودار الحديث حول الكتب التي نتحدث عن علماء العرب والمسلمين ، والذين سبقوا بعلمهم واكتشافاتهم علماء أوروبا بسنوات السنين ، وكيف أن النهضة العلمية العربية بدأت في بداية القرن التاسع الميلادي ، لكنها لم تبدأ في أوروبا إلا مع عصر النهضة في القرن الخامس عشر .

وفتحنا كتاباً مصوراً
للأطفال ، يرشدهم إلى أهم
معروضات المتحف الإسلامي
بالقاهرة . ومن بين المعروضات
أهم الإنجازات العلمية
للحضارة العربية . وأشرنا إلى
صورة أحد معروضات المتحف ،
وظلننا أن يتعرف عليها
الأطفال .



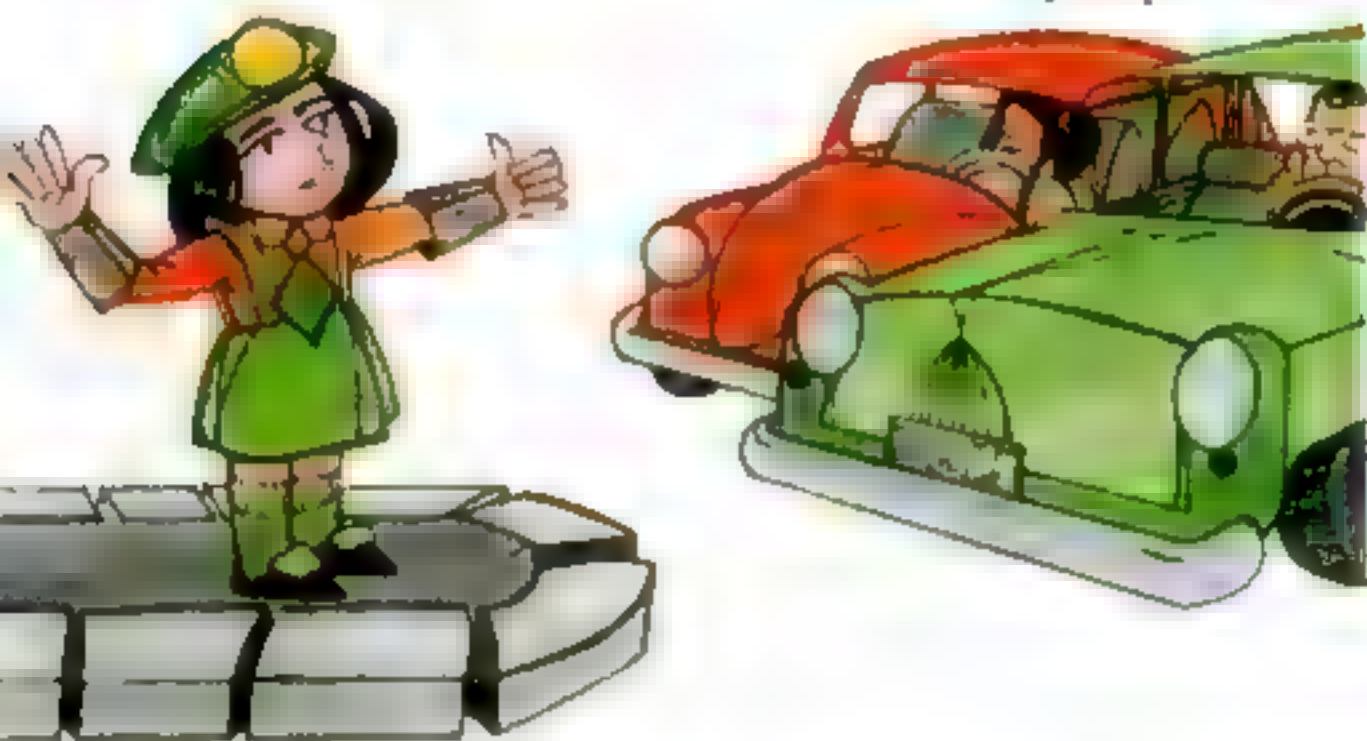
ورفعت سلوى الصعيرة بذها كان عمرها لا يتجاوز سنة
سنوات ، ودهشا لصغر سنّها ، لذلك طلبنا منها أن تُحِيب .
وفي نمةٍ قالت : " هذه هي الساعة الرمسة . وقد رأيتُ في
المصحف الإسلاميّ مع والدي ، وعرفتُ منه كيف تعمل . "
واطلق الحاصرون ، الصغار والكمّار ،
يصفّون في حماسٍ لسلوى الصعيرة ، التي
عرفتِ الجواب الصحيح .

وفي اليوم التالي ، حدّثني والدّة
سلوى . فقالت : " رجعتُ سلوى إلى البيت ، لا
سمعُ منها إلا إلحاحها لأخذها في ربات
حديقة للمتحمّس الإسلاميّ وغيره من
المتاحف ، وعن رعتها في قراءة الكتّيب التي
تحدّثُ عن المتاحف والمعلومات . "
"كانت سلوى تقول ، هل رأيتِ يا أمّي
كيف صفّق لي كلُّ الأطفال ، لأنّي عرفتُ
الجواب الصحيح ؟! أريدُ أن أعرف كلَّ
الإجابات عن كلِّ الأسئلة "



حوادث مرور أمام المدرسة

في نادي الطفل نعيش حلوان ، التابع لجمعية الرعاية المتكاملة ، التفتت نسيت من سائنا الطالبات ، في المدارس الإعدادية.



سألني شيماء: "تريد حركة المرور بالشارع الذي تقع فيه مدارسنا ، تسبب أخيراً في عدد من الحوادث للأطفال ، فكيف نواجه هذا الخطر؟"
قلت لها "بل أنا الذي أسألك ، ماذا تقترحين أنت ورميلاًئك؟"
قالت ليلى: "تقيم الحكومة ممثلاً أو كوبري."



قلت: "من الصعب مطالبة الحكومة بإقامة الكبارى و الأنفاق التى تتكثف الملايين ، أمام كل مدرسة."

قالت فاطمة: "نطلب تعيين شرطى مرور ، لتنظيم عبور الأطفال للشارع."

سألت: "هل يمكن من فكرت فعلا فى كتابة اقتراح بهذا المعنى ، لتقديمه إلى مديرة المدرسة ، أو مأمور القسم ، أو إدارة الحى؟"

هنا سكنت الطالبات ، لكن مريم قطعت الصمت عندما وقفت لتقول: "أو نطالب بإنشاء مطب صناعى ، يحد من سرعة السيارات."

قلت: "ألا تلاحظن أن الاقتراحات كلها طلبات من الحكومة؟! أريد أن أسمع اقتراحا تنفذنه بأنفسكن."

وبعد لحظات من التفكير ، قالت هبة: "أنا عضوة فى فريق المرشدات بالمدرسة .. نقف بالتناوب ، لتنظيم المرور أمام مداخل مدارسنا."

وبتلقائية صفقت كل الحاضرات لاقتراح هبة ، فقد وجدن فيه الحل العملى السريع ، الذى تستطيع كل واحدة منهن أن تساهم فيه بمجهودها الخاص.

دقائق للقراءة

كما نتحدث عن تنمية الاتجاهات والعادات عند الأطفال ،
خاصة في مجال القراءة ، فقالت إحدى الخبيرات المتخصصات في
مجال التربية:



كنتُ أحضرُ مؤتمراً في الولايات المتحدة الأمريكية ، فذهبتُ
لزيارة مدرسة ابتدائية. وأثناء الزيارة ، وفي تمام الساعة العاشرة
صباحاً ، دقَّ جرسُ المدرسة بطريقة خاصة ..
وفوجئتُ بكلِّ مَنْ في المدرسة ، من تلاميذ ومُدرّسين ،
يتركون ما في أيديهم من كراساتٍ أو أنشطة أو حديثٍ ، ويتناول كلُّ
منهم كتاباً أو مجلة أو صحيفة ، وينغمس في المطالعة ، بشرط أن
تكون المادة المقرّوءة خارج المنهج المدرسي.

وساد المدرسة هدوءٌ عجيبٌ
لمدة عشر دقائق، وقد استغرق كلٌّ
من فيها في القراءة.

وعلمت أن هذه الدقائق
العشر تتكرر كل يوم، على امتداد
العام الدراسي، وفي نهاية كل
أسبوع، تُخصّصُ حصّةٌ دراسيةٌ،
لمناقشة أهم ما قرأه كل تلميذ في
خلال هذه الدقائق.

مدرسة



وختمت الخبيرة حكايتها قائلة: هكذا يشرون الوعي بأهمية
القراءة، ويُتمون عادة القراءة، بدون أي نفقات، بل فقط بالجدية
والالتزام عند تنفيذ هذه الفكرة البسيطة، وبالقدوة التي يقدمها
الكبار للصغار خلال دقائق القراءة اليومية.

برامج من العالم كله

سألتني مجموعة من الطالبات ، عن أثر التدفق الإعلامي في مختلف وسائل الاتصال ، وما ينتج عنه من تعرضنا لكثير من البرامج والأخبار ، خاصة التليفزيونية ، التي قد لا يرضى البعض عن مضمونها . فسألتهن :

"إذا كان الهواء والبيئة من حولنا ملأة بالكائنات المفيدة والضارة ، فهل علاج هذا الأمر أن نَعْقِمَ البيئة من حولنا ، أم نتعلم العادات الصحية ، التي تساعدنا على الاستفادة من المواد والكائنات المفيدة ، وتجنب المواد والجراثيم الضارة؟"

قلن : " بل نتعلم كيف نتجنب الضارة ."

قلت لهن : " وبعد سنوات قليلة ، ستنتشر أجهزة تليفزيون ، لن تحتاج إلى هوائي خاص لالتقاط البرامج من كل أنحاء العالم ، لذلك فإن علينا أن نتعلم ، من الآن ، كيف نستفيد بما يفيدنا من برامج ، وأن نتجنب ضرر غير المفيد منها . فالتربية الصحيحة هي ، في كثير من جوانبها ، تنمية القدرة على الاختيار ، للتمييز بين المفيد والضار ."

